

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(121) سبحانه: (فلا تسألن ما ليس لك به علم أنِّي أعطك أن تكون من الجاهلين) يعرب عن وجود سَوَالٍ غير لائق بساحة الأنبياء، فلاجل ذلك خوطب ونهي عن التكرار. فنقول: إنَّ اِ عَزَّ وجلَّ قد وعده بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم، وهذا الاستثناء كان دليلاً على أنَّ في جملة "أهله" من هو مستوجب للعذاب، وأنَّهم كلَّهم ليسوا بناجين، وعندئذ كان على نوح أن لا تخالجه شبهة حين أشرف ولده على الغرق في أنَّه من المستثنين، وليس داخلاً في المستثنى منهم، فعوتب على أنَّه اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه عليه. (1) وعلى هذا يكون المراد من قوله: (فلا تسألن ما ليس لك به علم) النهي عن السَوَال الذي لا يليق أن يطرح ويسأل إذا كان الجواب معلوماً بالقرائن والتفكير في أطراف القضية، وإلاَّ فالسَوَال انَّما يتعلَّق بما لا يعلم لا بما يعلم. هذا ما أجاب به صاحب الكشف. وهناك جواب أوضح ولعلَّه أليق بساحة الأنبياء، وهو: أنَّه لما وعد نوحاً بنجاة الـاهل بقوله: (إلاَّ من سبق عليه القول منهم) ولم يكن نوح مطَّلعاً على باطن ابنه، بل كان معتقداً بظاهر الحال أنَّه موَّمن، بقي متمسِّكاً بصيغة العموم للـاهلية ولم يعارضه يقين ولا شك بالنسبة إلى إيمان ابنه، فلذلك (نادى ربُّه). وأمَّا قوله: (اني أعطك أن تكون من الجاهلين) فليس راجعاً إلى كلامه وندائه، بل كان نداؤه ربُّه في هذا الطرف واقعاً موقع القبول، وكان السَوَال صحيحاً ورصيناً، بل هو راجع إلى وقوع السَوَال في المستقبل بعد أن أعلمه اِ باطن أمره، وأنَّه إن سأل في المستقبل كان من الجاهلين، والغرض من ذلك _____ 1 . الكشف: